

السيرة النبوية لابن هشام

مبتم
الاستاذ محمد علي النجار

عضو مجمع اللغة العربية

يعاتبه على أن ترك مجلس الفقه إلى مجلس الأخبار ، يرى أنه لا خير فيها ، وقال لأبي يوسف يتحكم به : من كان صاحب راية جالوت ؟ فقال أبو يوسف : إنك إمام ، وإن لم تمسك عن هذا سألتك على رموس الملاء : أعمّا كان أولاً ؟ أوقعة بدر أم أوقعة أحد ؟ فإنك لا تدري أيتهما كان قبل الآخر . فأمسك عنه وأقره على ما رأى واختار .

ولم يُعن أحد من الصحابة بجمع أخبار السيرة ؛ إذ كانوا مشغولين بالجهاد والفتوح ، وإنما التفت إلى هذا فريق من التسابعين . فكانوا يسألون من شاهد الغزوات من الصحابة ، ومن صاحب الأحداث التي وقعت للمسلمين في عهد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، ويجمعون ما استفادوا واشتهر من الأخبار حتى أصبح لا يحتاج إلى سند خاص ، ولا نقل عن أفراد معينين . وتفرق السيرة والأخبار في هذا الحديث عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه . فالحديث الصحيح يجب أن يكون متصل السند لا يسقط فيه أحد من رجاله . ويرد في السيرة المراسيل وغيرها ؛ فقد يروى فيها عن الحسن البصري التابعي أخبار عن أحوال البعثة أو حياة الرسول لم يدركها .

سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يراد بها تعرف حياته الأولى من ولادته إلى مبعثه ، ثم حياته بعد ذلك حين بعث للناس بالدين الحق ، وأمر أن يدعو الناس إليه ، وما لقي في سبيل الدعوة من معارضة ، وما جرى بينه وبين المعارضين من مقاولات وحروب ، ومن استجاب له حتى ظهر الإسلام وكل الدين .

والحروب التي جرت بينه وبين مخالفه هي المعروفة بالغزوات والسرايا . وقد يغلب اسم المغازي على ذلك كله .

وقد كانت المغازي والسير من العلوم الجليلية ، فيها يعرف تواريخ أحداث المسلمين في عهدهم الأول ويوقف على أحوالهم ، وفيها جلاء البيئة التي نشأ فيها الإسلام وترعرع حتى استوى ، وبيان لأسباب نزول كثير من آيات القرآن ، ومن ثم يعرض كتاب السير لتفسير ما نزل من القرآن فيما يمس ما يعرضون له .

ومما يدل على وجوب العناية بهذا العلم أن (١) أبا يوسف صاحب أبي حنيفة - رضي الله عنهما - كان قد مضى ليستمع المغازي من ابن إسحاق أو غيره ، وأخل بمجلس أبي حنيفة أياماً . فلما علم الإمام بذلك أخذ

(١) انظر ابن خلكان في ترجمة أبي يوسف .

ومن هؤلاء الذين جمعوا أخبار السيرة محمد بن شهاب الزهري الذي كانت وفاته سنة ١٢٤ هـ فقد دون سيرة تروى عنه ، وينقل عنها السهيلي في الروض^(١) الأنف .

وجاء محمد بن إسحاق بن يسار ، فاهتم بجمع المغازي والسير أيما اهتمام . وساعده قوة حفظه ، وتفرغه لهذا الشأن ورغبته في فن الأخبار والتاريخ حتى اشتهر بالإمامة في هذا الفن . ويقول الزهري^(٢) : من أراد المغازي فعليه بابن اسحاق . وذكر عن الشافعي - رضي الله عنه - أنه قال : من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق . وقد كتب السيرة . وكانت وفاته سنة ١٥١ هـ .

وجاء ابن هشام فهذب سيرة ابن اسحاق فعرفت به : سيرة ابن هشام ، ولا يكاد يعرف سيرة ابن اسحاق . وسأقسم الكلام في هذا البحث قسمين . الأول في ترجمة ابن هشام . والثاني في سيرة ابن هشام ، ثم أتبعهما نماذج من السيرة إن شاء الله .

١ - ابن هشام

هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المَعافري . والمعافر : قبيل من اليمن كبير . فهو قحطاني . ويقول بعضهم فيه : الدهلي . وذُهل : قبيلة من ربيعة ترجع إلى ذُهل بن شيبان . فهو على هذا عدناني . وبعضهم^(٣) يجعله سدُوسياً . وسدوس هو ابن شيبان . فهو أيضاً عدناني . وشهرته بالحميرية تنفي أنه ذهلي أو سدوسي . والظاهر أنه حميري من أنفسهم لا مولى لهم .

ونشأ في البصرة وتلقى العلم فيها . والظاهر أنه ولد بالبصرة . ولم يذكر تاريخ ولادته ، ولا ما يعين على

تعرفه . وبرع في الأدب والعربية ، حتى وُصف بالنعوى . وأخذ عن نحوى البصرة وأدبائها . وهو في السيرة يروى عن يونس بن حبيب (١٨٢ هـ) ، وأبي عبيدة معمر بن المنثري (٢١٨ هـ) ، وأبي محرز خلف الأحمر (مات في حدود سنة ١٨٠ هـ) ، وأبي زيد الأنصاري (٢١٥) . ولا نراه يروى عن الأصمعي ، وكأن ذلك لأن الأصمعي كان في بغداد متمتعاً بنعم الخليفة . وهو يروى عن هؤلاء في الأخبار واللغة والشعر . وروى^(١) حديثاً في صلاة الخوف عن عبد الوارث بن سعيد التنوري .

وقد رحل إلى مصر بعد أن اكتمل علمه في البصرة ، واستقر بها ، ونشر فيها علمه ، حتى صار عالم مصر في الغريب والشعر . وحين ورد الشافعي مصر كان ابن هشام بها . وقيل^(٢) له : لو أتيت الشافعي ، فأبى أن يأتيه . ثم قيل له فأتاه ، فذاكره أنساب الرجال ، فقال له الشافعي بعد أن تذاكرا طويلاً : دع عنك أنساب الرجال فإنها لا تذهب عنا وعنك وخذ في أنساب النساء . فلما أخذ في ذلك بقي ابن هشام مبهوراً . وكان ابن هشام يقول بعد ذلك ما ظننت أن الله خلق مثل هذا ! ومن الثابت أن الشافعي - رضي الله عنه - ورد مصر في سنة ١٩٩ هـ ، وكانت وفاته فيها سنة ٢٠٤ هـ . فيكون ابن هشام في مصر في أثناء هذه المدة ، فأما متى ورد ابن هشام مصر فلم نقف على خبر فيه .

وكان ميله إلى الأخبار شديداً . ومن هذا كان اشتغاله بالمغازي والسير .

ومن آثاره كتاب التيجان في ملوك حمير . وهو يرويه بسنده عن وهب بن منبه . وفيه رواية عن محمد بن السائب الكلبي ، كما في ص ١٣٢ . وقد طبع

(١) السيرة ٣ - ٢١٥ .

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي ج ٦ المجلد الأول (مخطوط في دار الكتب) .

(١) ج ١ ص ١١٨ .

(٢) الروض ١ - ٥ .

(٣) انظر تهذيب التهذيب في ترجمة زياد بن عبدالله البكائي .

في الهند في بلدة حيدر آباد الدكن في سنة ١٣٤٧ هـ .
ويذكر من تأليفه شرح أخبار الغريب في السيرة .
ويذكر بعض العصرين من تأليفه القصائد الحميرية ،
وأنها طبعت . ولم أقف على هذا الكتاب ولا رأيت
أحداً من القدماء ذكره له . ويوجد من المطبوعات
القصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد الحميري
(٥٧٣ هـ) . وأغلب الظن أن هذا الكاتب ظن هذه
القصيدة لابن هشام ، لمكان نسبه : الحميري .

وقد يسأل سائل : هل كان ابن هشام يعرف
الحميرية وخط المسند . نرى السهيلي في الروض
الأنف ينقل عن ابن هشام في غير السيرة تفسير معديكرب
فيقول ابن هشام : المعدي هو الوجه والكرب هو
الفلاح . فعديكرب : وجه الفلاح . ولا ريب أن
هذا في لغة حمير . فهل علمه ابن هشام بقراءة خط
المسند مع غيره من لغة حمير . أو هو شيء رواه عن
غيره ممن يعلم هذا .

وكانت وفاته في مصر سنة ٢١٣ هـ فيما ذكر (١)
السهيلي . وفي البداية والنهاية لابن كثير ١٠ - ٢٦٧ :
« قال السهيلي : وفيها (أى في سنة ٢١٣ هـ) توفي
عبد الملك بن هشام راوى السيرة عن ابن إسحاق ،
حكاه ابن خلّكان عنه . والصحيح أنه توفي سنة
ثمان عشرة ومائتين ، كما نص عليه أبو سعيد بن يونس
في تاريخ مصر » .

ب - سيرة ابن هشام

هذه السيرة أصلها - كما ذكرت قبل - سيرة
ابن إسحاق . وهذه السيرة الأم - كما يبدو من فرعها
سيرة ابن هشام - سيرة جليّة . فيها طائفة من أخبار
العرب قبل الإسلام ، وبسط للحالة بعد الإسلام في
حياة الرسول عليه الصلاة والسلام . وهى سجل لما

جرى في هذا العهد من المعاهدات ، ولما جرى في
الغازي . فيذكر في الغزوة من شهداها من الجانبين
وما حدث لهم في تفاصيل دقيقة ، كأنما كان هناك
كتاب حريّون يدوّنون كل شيء . وفيها ثروة أدبية
مما يورد من الأشعار في الغزوات وغيرها . وابن إسحاق
يكثّر من رواية الأشعار في كل موطن ، حتى أورد
فيها كثيراً من الشعر المنحول والمصنوع ، وحتى قال
فيه ابن سلام في طبقات الشعراء ص ٩ : « وكان ممن
أفسد الشعر وهجّته ، وحمل كل غشاء منه محمد بن
إسحاق بن يسار ... فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان
يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، وأوتى به
فأحمله . ولم يكن ذلك له عذراً » . وقد نبّه ابن
هشام على ما ينكر من الشعر الوارد في سيرة ابن
إسحاق وعلى الخلط فيه ، كما سيأتى .

ومما يذكر في الكلام على الشعر في السيرة أنه
ذكر فيها ما قيل فيه إن الرسول - صلى الله عليه وسلم -
نهى عنه . ففى شرح الحشني لسيرة ابن هشام ١٩٨/١
أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في شعر الجاهلية
إلا قصيدة (١) أميّة بن أبي الصلت في أهل بدر التي
أولها :

ألا بكيت على الكرا

م بنى الكرام أولى المادح

وقصيدة الأعشى التي فيها :

عهدي بها في الحى قد دُرّعت

هيفاء مثل المهرة الضامر

لما في الأولى من رثاء الكفار والتنقيص لأصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما في الثانية من مدح عامر
ابن الطفيل ، وهجاء علقمة بن علاثة . وقد مات
عامر كافراً ، ومات علقمة مسلماً . والظاهر أن هذا

(١) انظر السيرة ٣١/٣ (طبعة الحلبي) .

(١) الروض ١ - ٥

عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يُقرّ لنا البكائي بروايته ، ومستقص - إن شاء الله - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به . وقد ترك ابن هشام أن يذكر أنه قد يزيد على ما رواه ابن إسحاق ما يراه تكملة له .

وسأذكر بعض أوجه عمل ابن هشام في سيرة ابن إسحاق .

١ - فهو قد يزيد على ابن إسحاق ما يراه متصلاً ببحثه .

ففي ١ - ٧٣ يورد ابن هشام قصة ملك الحضر ، ويرويها عن خلاد بن قرّة عن جنّاد أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب . وفي ١ - ٩٦ يذكر أن النضر هو قرّيش أو فهر هو قرّيش . وفي ١ - ١٩٥ يذكر حديث حرب الفجار ، يرويه عن أبي عبيدة . وفي ١ - ٣٦٦ يروي شيئاً عن البكائي عن مسعر بن كدام لا عن ابن إسحاق . وفي ١ - ٣٠٥ يذكر قصة داحس والغبراء يرويها عن أبي عبيدة . وفي ٤ - ٢٨٢ يقول ابن هشام : « ومما لم يذكره ابن إسحاق من بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه بعث عمرو بن أميّة الضمري .. وسرية زيد بن حارثة » ولكن في الروض ٢ - ٣٦٣ أن في بعض نسخ ابن إسحاق خبر سرية عمرو بن أميّة .

٢ - وهو يفسّر ما يرد في الشعر وغيره مما يورده ابن إسحاق أو يورده هو من الغريب . وقد سبق أن له « شرح ما وقع في أشعار السيرة من الغريب » وكان هذا الكتاب الذي لم يصلنا كان أوفى مما في السيرة وأجزل بياناً .

ففي ١ - ١٤٨ جاء في الشعر الذي رواه ابن إسحاق :

التهى لم يبلغ ابن إسحاق ولا ابن هشام . ويقول بعضهم : إن هذا التهى كان في أول الإسلام في أيام المعارك بين الفريقين ، فلما دجا الإسلام وظهر سلطانه فلا بأس بإنشادهما . على أن ابن هشام حذف البيتين من قصيدة أمية اللذين نال فيهما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وقد عُرف من رواية سيرة ابن إسحاق راويان ثقتان . الأول يونس بن بكير (١٩٩ هـ) وهي رواية كاملة لم يحذف منها شيء . وينقل عنها أشياء لم تأت في سيرة ابن هشام ، وانظر الروض ١/٤٦ ، ١٠٧ ، ١٢٧ . والآخر زياد بن عبد الله البكائي . وقد وصف بأنه أثبت الناس في سيرة ابن إسحاق . ويقال في ذلك - كما في تهذيب التهذيب - : إنه باع داره ، وخرج يدور مع ابن إسحاق حتى سمع منه الكتاب ، وكانت وفاته سنة ١٨٣ هـ .

وزياد هذا هو الذي أخذ عنه ابن هشام سيرة ابن إسحاق ، فإن ابن هشام لم يدرك ابن إسحاق .

روى ابن هشام سيرة ابن إسحاق فأعجبته ، ولكنه رأى فيها أشياء أنكرها فأزعم تهذيبها ونشرها على الناس في صورة جديدة . وقد وضّح منهج عمله فيها في قوله : « وأنا - إن شاء الله - مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده ، وأولادهم لأصلاهم ، الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل ، على هذه الجهة ؛ للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ولا شاهداً

يبكين شخصاً طویل الباع ذا فَجَرٍ

آبِي المَصِيمة فَرَّاجَ الجَلِيلَاتِ

فيقول ابن هشام : « الفَجَر : العطاء . قال أبو خِرَاش الهذلي :

عَجَفَ أَضيافِي جميل بن معمر

بذِي فَجَرٍ تَأوى إِلَيْهِ الأَرَامِلُ

وقوله : « عَجَفَ » كذا في أصول السيرة . وفي

ديوان الهذليين ٢ - ١٤٨ : « فَجَع »

وفي ١ - ٢٦٩ ورد في حديث إسلام أبي بكر -

رضي الله عنه - : « إلاما كان من أبي بكر بن أبي قحافة :

ما عَكَمَ عنه حين ذكرته له وما تردد فيه » فقال

ابن هشام : « قوله : عَكَمَ : تَلَبَّث . قال رُوثة بن

العجاج :

وانصاع وثَّابَ بها وما عكم

وفي ١ - ٢٣٣ ذكر ابن إسحاق - فيما رواه

عن سلمان الفارسي : « فلما سمعها أخذتني

العُرُوء » فقال ابن هشام : « والعُرُوءاء : الرعدة

من البرد والانتفاض . فإن كان مع ذلك عَرِقَ

فهو الرُّحْضَاء »

وفي ٢ - ١٨٣ : « القُوم : الخنطة . قال أميَّة

بن أبي الصلت الثقفي :

فوق شيزي مثل الجوابي عليها

قطع كالوذيل في نِقْي قُوم

.... الوذيل : قطع الفضة ، والشيزي : شجر

تتخذ منه القصاع والجفان ، وأراد هنا القصاع فيها

الطعام ، وجعلها لسعتها كالجوابي أي الحياض ، وأراد

بالقطع قطع السنام جعلها بيضاء كالفضة .

وفي ٣ - ١٢٠ : « قال ابن هشام : الحسن :

الاستئصال . يقال : حَسَسْتُ الشيء أي استأصلته

بالسيف وغيره . قال جرير :

تَحَسُّهُمْ السُّيُوفُ كما تَسَامِي

حريق النار في الأَجَمِ الحصيد

وهذا البيت في قصيدة له . وقال رُوثة بن العجاج :

إذا شكونا سنة حَسُوسا

تأكل بعد الأخضر اليَبِيسا

« وهذان البيتان في أرجوزة له . »

٣ - وقد يردّ علي ابن إسحاق ما يراه خطأ .

ومن ذلك ما جاء في ١ - ٦٤ ، ففيه : « قال

ابن إسحاق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرَحْبِيل . »

فقال ابن هشام : « زيد بن حارثة بن شُرَاحِيل »

وقال في الروض ١ - ١٦٤ : « وقال أصحاب

النسب كما قال ابن هشام . »

وفي ٢ - ٣٦٩ ذكر ابن إسحاق فيمن قُتل

ببدر من المشركين السائب بن أبي السائب . فقال

ابن هشام : « السائب ابن أبي السائب شريك رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - الذي جاء فيه الحديث عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الشريك السائب !

لا يشارى ولا يمارى . وكان أسلم فحسن إسلامه ،

فما بلغنا . »

وفي ٢ - ٧٢ ورد في سياقة نسب في كلام

ابن إسحاق : « عمرو بن غَنَم بن سواد » فقال

ابن هشام : « عمرو بن سواد . وليس لسواد ابن يقال

له : غنم . »

وفي ٢ - ١٦٩ يذكر ابن إسحاق من المنافقين

ثعلبة بن حاطب ومُعْتَب بن قُشَيْر فيقول ابن هشام :

« مُعْتَب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب - وهم

من بني أميَّة بن زيد - من أهل بدر ، وليسوا من

المنافقين ، فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم . وقد

نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أميَّة بن زيد

في أسماء أهل بدر . »

٤- وقد يذكر ابن إسحاق وجهاً في نطق الكلمة فيقره ابن هشام ويذكر وجهاً آخر فيها .

فقى ١ - ٦ ورد في كلام ابن إسحاق هاجر أم اسماعيل عليه السلام ، فقال ابن هشام : « تقول العرب : هاجر وأجر ، فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا : هراق الماء وأراق الماء » ولا يخفى أن الأمر في هراق الماء وأراق عكس ما في هاجر وأجر إذ الابدال في المثال هو إبدال الهاء من الألف ، وإنما أراد التمثيل في مطلق الابدال .

وفي ١ - ٨٨ ورد في تعداد أصنام العرب ذو الخلصة بفتح الخاء واللام ، فقال ابن هشام : « ويقال : ذو الخلصة » بضم الخاء واللام .

٥ - وقد يند في كلام ابن إسحاق عبارة لا تصح فينبه ابن هشام عليها .

فقى ١ - ١٦٩ ورد في كلام ابن إسحاق : « والتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعا » فقال ابن هشام : « المراضع . وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام : (وحرمتنا عليه المراضع) » يريد أن الذي يلتمس للرضيع المراضع جمع مريض أو مرضعة ، ولا يلتمس للرضيع الرضعا أمثاله . وقد حاول السهيلي في الروض ١ - ١٠٨ أن يصحح كلام ابن إسحاق ، كأن يكون الكلام على تقدير مضاف ، أي ذوات الرضعا ، أو المراد بالرضعا أولاد المراضع . وهذا كله تكلف .

وفي ٢ - ٣٢٨ في تفسير قوله تعالى في سورة الأنفال : (إذ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا) ولو أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنْتَازِعْتُمْ فِي الْأَمْرِ) يقول ابن إسحاق : « فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمته عليهم . شجعهم بها على عدوهم ، وكف بها ما تخوف^(١) عليهم من ضعفهم لعلمه بما

فيهم » ويقول ابن هشام : « تخوف . بدلة من كلمة ذكرها ابن إسحاق ولم أذكرها » . ويقول أبوذر الخثني في شرح السيرة : « يقال : الكلمة تَخَوَّفُ^(١) ، بفتح التاء والخاء والواو . وقيل : كانت تخوفت . وأصلح ذلك ابن هشام لشناعة اللفظ في حق الله عز وجل^(٢) » أي أن ابن هشام تجنب أن يسند الخوف إلى الله سبحانه ، فحول الفعل إلى المجهول ليكون غير الله سبحانه .

٦ - وقد يتعقب ابن إسحاق في رواية الشعر ، ويسند ذلك إلى العلماء بالشعر والرواية . وقد تقدم ذكر بعضهم ، كأبي عبيدة وخلف الأحمر وأبي زيد الأنصاري . فقى ١ - ٢٤ أورد ابن إسحاق شعرا تتبع فيه : حنقاً على سبطين حلاً يثرباً

أولى لهم بعقاب يوم مفسد فقال ابن هشام : « الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع ، فذلك الذي منعنا من إثباته » . ومن العجيب أن ابن هشام نفسه يثبت في كتابه التيجان^(٣) « هذا الشعر الذي أنكره على ابن إسحاق وأوله : ما بال عينك لاتنام كأنها كُحلت ماقها بسم الأسود

وفي ١ - ٦٧ يورد ابن إسحاق قصيدة في مدح سيف بن ذي يزن لأبي الصلت الثقفي ويقول ابن هشام « وتروى لأمية بن أبي الصلت » . ويورد ابن إسحاق في آخر القصيدة البيت :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا فيقول ابن هشام : « هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها ، إلا آخرها بيتاً : قوله : تلك المكارم لا قعبان من لبن

(١) أي بالبناء للعلوم .

(٢) انظر شرح أبي ذر ١ - ١٧١ .

(٣) ص ١١٢ .

(١) أي بالبناء للمجهول .

فإنه للناطقة الجعديّ .

وفي ١ - ١٧٨ يروى ابن إسحاق عن محمد بن سعيد بن المسيّب أن عبدالمطلب لما حضرته الوفاة جمع بناته الست وقال لهنّ : ابكين عليّ حتى أسمع ماتقلن قبل أن أموت . فأخذت كل واحدة ترثيه بقصيدة . ويقول ابن هشام بعد إيراد القصائد كما ذكرها ابن إسحاق : « ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيّب كتابناه » وانظر قوله : كتابناه فهو يوحى بالشكّ الكثير ، فإنما منه الكتابة له لا الإقرار بصحته .

وفي ٣ - ٣٤ ذكر ابن إسحاق شعراً لأمية بن أبي الصلت ، يرثي فيه زمعة بن الأسود وقتلى بنى أسد في غزوة بدر . وفيه :

تلك بنو أسد إخوة الجوّ

زاء لا خانة ولا خدعة

وفيه :

أسمى بنو عثمهم إذا حضر البأ

س أكبادهم وجعة

والبيتان غير متّزّنين في العروض . ويقول ابن هشام : « هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ليست بصحيحة البناء . ولكن أنشدني أبو محرز خلف الأحمر وغيره ... » وفيما أنشده بدل البيت الأول :

فعلى مثل هلكهم خوت الجوّ

زاء لا خانة ولا خدعة

وأنشد بدل البيت الثاني :

فبنو عثمهم إذا حضر البأ

س عليهم أكبادهم وجعة

وفي ٢ - ٢٤٢ يروى ابن إسحاق شعراً لأبي بكر رضى الله عنه في غزوة عبّيدة بن الحارث أوله :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدماث

أرقت وأمر في العشرة حادث

ويقول ابن هشام : « وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر رضى الله عنه » . ويقول السهيلي في الروض ٢ - ٥٦ : « ويشهد لصحة [قول] من أنكر أن تكون له ماروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عائشة قالت : كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر في الإسلام . رواه محمد البخارى » وفي ٣ - ١٧٤ ينسب ابن إسحاق أبياناً لعلى رضى الله عنه في يوم أحد . ويقول ابن هشام : « قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير على » ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر .

وفي ٣ - ٢٠٦ ينسب ابن إسحاق إلى على أيضاً أبياناً يذكر فيها إجلاء بنى النضير ، وقتل كعب ابن الأشرف ، فقال ابن هشام : « قالها رجل من المسلمين غير على بن أبي طالب » ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر « ويؤيد ما يراه ابن هشام ما جاء في القاموس في (ودق) : « ومنه قول على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه :

تلكم قریش تمنّانى لتقتلنى

فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا

فإن هلكتُ فزهن ذمتى لهم

بذات ودّقين لا يعفو لها أثر

قال المازنى : لم يصحّ أنه تكلم بشئ من الشعر غير هذين البيتين . وصوبه الرخشرى رحمه الله تعالى «

وفي ٣ - ٢٢٢ يورد ابن إسحاق قصيدة لأبي سفيان

ابن الحارث ، فيقول ابن هشام عقب إيراد ما شاء منها :

« بقيت منها أبيات تركناها لقبح اختلاف قوافيها »

٧ - وقد يترك بعض ما يورده ابن إسحاق من

الشعر لأن فيه فحشا وإقذاً

ففى ٣ - ١٩ ذكر عن ابن إسحاق قصيدة لحسان ابن ثابت ، ثم قال : « وتركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها لأنه أفلح فيها » . وهذه منقبة تحمد لابن هشام : أن يترك الهجر من الكلام . غير أنا نراه قد يذكر ما فيه فحش وإقذاع . فقد أنشد فى ٤ - ٨٦ بيتين لحسان يهجو فيهما كلدة بن الحنبل :

رأيت سواداً من بعيد فراغنى
أبو حنبل يزرو على أم حنبل
كان الذى يزرو به فوق بطنها
ذراع قاوص من نتاج ابن عزهل

وقد سقط هذان البيتان فى بعض نسخ السيرة ، وكان ذلك من ناسخ استشنعهما .

منهج سيرة ابن هشام ومباحثها

يبتدىء ابن هشام بذكر شيء من كلام ابن إسحاق ، ويصدره بعبارة « قال ابن إسحاق » ويعقب عليه بما يراه من زيادة أو نقد بقوله : « قال ابن هشام » ويسير هكذا فى الكتاب ، حتى يمكن الباحث أن ينتزع من سيرته سيرة ابن إسحاق لولا ما حذف منها وأسقط .

وقد ابتدأت السيرة بسرد نسب الرسول عليه الصلاة والسلام ، واستتبع ذلك ذكر جملة صالحة من أنساب العرب وأخبارهم فى الجاهلية ، وعاداتهم وأصنامهم . وذكر تجديد حفر زمزم على يد عبد المطلب ، وولادة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونشأته ، ومبعثه ، ومن استجاب لدعوته ، وما لقيه فى سبيلها من عنت وإرهاق ، وما لاقى المؤمنون من أذى ، وهجرة بعضهم إلى الحبشة فراراً بدينهم ، وعرض الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه على القبائل يدعوهم إلى الإسلام ، حتى استجاب له فريق من الأوس والخزرج فى يثرب (المدينة) فهاجر إليها

صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين من أهل مكة ، وصارت المدينة دار عزّ ومتبوّاً قرار للمسلمين . وفى المدينة كانت بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين اليهود الذين كانوا فيها مفاوضات ومعااهدات نقضوها ولم يتمّوا عليها ، فكانت دائرة الغدر عليهم ، وانتهى الأمر بإجلائهم عن المدينة ، والانتصار عليهم فى خيبر ، وإذلالهم .

وفى المدينة تبتدىء الغزوات والسرايا التى عزّ بها المسلمون ، وذلك الشرك بفتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة . وبهذا الفتح المبين يدخل العرب فى دين الله أفواجا ، ويوفدون الوفود إلى المدينة معلنين إسلامهم ، وطلابين من يفقههم فى دينهم . وذلك فى السنة التاسعة ، وتسمى لهذا سنة الوفود . ويرسل الرسول عليه الصلاة والسلام رسله إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام . وينتهى الكتاب بذكر أزواجه عليه الصلاة والسلام وتمريضه وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وذكر ما جرى فى سقيفة بنى ساعدة من الخلاف الذى انتهى بخلافة أبى بكر رضى الله عنه .

وهذا إجمال شديد لما فى السيرة من مباحث .

ما كتب على السيرة واتصل تأليفه بسببها

شرح السيرة أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي الأندلسي ، المتوفى سنة ٥٨١ هـ . ويسمى هذا الشرح الروض الأنف . وقد طبع فى مطبعة الجالية بمصر فى سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) فى جزأين .

وشرح غريبها ، وتكلم على بعض المشكل منها أندلسي آخر ، هو أبو ذر الحُشَني مصعب بن محمد . وهو من جيان فى الأندلس . والحُشَني نسبة إلى حُشَين بن النمر : قبيلة فى قضاة . نص على ذلك فى القاموس . وكانت وفاته سنة ٦٠٤ هـ . وطبع هذا الكتاب فى مصر فى مطبعة هندية سنة ١٣٢٩ هـ .

ونظم السيرة - كما في كشف الظنون - أبو نصر
الخضراوي المتوفى سنة ٦٦٣ هـ ، وكذا عبدالعزيز ابن
أحمد المعروف بسعد الدين الديري المتوفى في حدود
سنة ٦٩٧ هـ ، وأبو إسحاق الأنصاري التلمساني ، على
قافية اللام ، وفتح الدين محمد بن ابراهيم المعروف بابن
الشهيد المتوفى سنة ٧٩٣ هـ في بضعة عشر ألف بيت ،
وسمائه ، فتح القريب في سيرة الحبيب .

واختصر السيرة البرهان ابراهيم بن محمد بن المرحل .
وزاد عليها أموراً . ورتبه على ثمانية عشر مجلساً وسمائه
الذخيرة في مختصر السيرة ، فرغ منه سنة ٦١١ هـ .
ذكر هذا كله في كشف الظنون . وهو يدل على
جلالة السيرة وخطرها واشتغال الناس بها . وهي
أهل لذلك . غير أن هذه المنظومات والمختصر لم نقف
عليها . والظاهر أنها ذهبت مع ما ذهب من نفائس
الكتب العربية .

نسخ السيرة

نسخ السيرة المخطوطة كثيرة ولا داعي لذكرها
هنا . وقد طبعت طبعات متعددة هي :

- ١ - طبعة بولاق سنة ١٢٩٥ هـ في جزأين .
- ٢ - طبعة غوطا في أوربا سنة ١٨٦٠ م في ثلاثة
مجلدات .
- ٣ - طبعة المطبعة الخيرية في مصر في ثلاثة
مجلدات سنة ١٣٢٩ هـ
- ٤ - طبعة ليبزج في سنة ١٩٠٠ م في ثلاثة
مجلدات .

- ٥ - طبعت بهامش زاد المعاد سنة ١٣٣٣ هـ .
- ٦ - طبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر سنة
١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) بتحقيق الأساتذة : مصطفى
السقا ، و ابراهيم الإبياري ، وعبد الحفيظ شلبي في
أربعة مجلدات . وهذه الطبعة هي التي نحيل عليها
في هذا البحث .

٧ - طبعة المكتبة التجارية في مطبعة حجازي
بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .
تقع في أربعة مجلدات .

ج - نماذج

١ - أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن ،
وقصة سد مأرب^(١)

وكان^(٢) سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن -
فيما حدثني أبو زيد الأنصاري - أنه رأى جرّداً^(٣)
يحفر في سد مأرب ، الذي كان يحبس عليهم الماء
فيصرفونه حيث شاعوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء
للسد على ذلك . فاعزم على النقلة من اليمن ، فكاد^(٤)
قومه . فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه أن يقوم
إليه فيلطمه . ففعل ابنه ما أمره به . فقال عمرو :
لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي . وعرض
أمواله . فقال أشرف من أشرف اليمن : اغتمنوا
غضبة عمرو ، فاشتروا منه أمواله ، وانتقل في ولده
وولد ولده . وقالت الأزدي : لا تتخلف عن عمرو ابن
عامر ، فباعوا أموالهم وخرجوا معه . فساروا حتى
نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان ، فحاربهم
عك . فكانت حربهم سجالاً^(٥) . ثم ارتحلوا
عنهم ، فتفرقوا في البلدان . فنزل آل جفنه بن عمرو
بن عامر الشام . ونزلت الأوس والخزرج يتشرب^(٦)

(١) بتحقيق الهزرة وتخفيفها ، وهو موضع في اليمن . وكان
السدين ثلاثة جبال ، سدت الجهة المفتوحة ، وتنزل السيول ، فتملؤها ،
فإذا احتاجوا إلى الماء فتحوها من السد بقدر حاجتهم . وفي معجم
البلدان أن هذه القصة مع عمران بن عامر . إذ كان عمرو قد توفي
قبل ذلك .

- (٢) السيرة ١ - ١٣ .
- (٣) هو الفأر .
- (٤) أي مكر بهم واحتال عليهم لمنفعتهم .
- (٥) أي يغلب هؤلاء مرة وهؤلاء مرة لا يستقر النصر لأحد
الفريقين .
- (٦) هي المدينة المنورة .

ونزلت مخزأة مراً^(١). ونزلت أزد السراة السراة^(٢). ونزلت أزد عتمان عتمان. ثم أرسل الله تبارك وتعالى على السد السيل فهدمه. وفيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم^(٣)). والعريم: السد، واحدته عريمة، فيما حدثني أبو عبيدة.

٢ - قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال^(٤) ابن اسحاق: وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً - قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده: يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيتها شاء، ويكف عنا. وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزدبون ويكثرون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلّمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يابن أخى إنك منا حيث قد علمت من السطة^(٥) في العشرة والمكان في النسب. وإنك قد أثبت قومك بأمر عظيم^(٦)، فرقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعيت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى آبائهم. فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع

قال: يابن أخى: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا. وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رتيماً^(٧) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى خبرتك منه فإنه ربما غلب التابع^(٨) على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم. قال فاسمع مني. قال: أفعل. فقال:

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه) ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه. ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فانت وذلك. فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم. فإن تصبه العرب فقد كفّتموه بغيركم. وإن يظهر على العرب فلنكنه ملككم، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به.

(١) هو ما يترامى للإنسان من الجن.

(٢) هو ما يتبع الإنسان من الجن.

(١) هو المعروف بمر الظهران. وهو على مرحلة من مكة.

(٢) جبال بين تهامة، ونجد.

(٣) الآيتان ١٥، ١٦ سورة سبأ.

(٤) السيرة ٣١٣/١.

(٥) أي الشرف والمكانة.

قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأي فيه ، فاصنعوا ما بداركم .

٣ - ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ، ونزول سورة الفتح

قال ^(١) ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه . قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود . قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تتربص بالإسلام أمر هذا الحى

(١) السيرة ٢٠٥/٤

من قريش وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب ، لا ينكرون ذلك . وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه . فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ، ودوخوا الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله - كما قال عز وجل - أفواجاً ، يضربون إليه من كل وجه . يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) .